سلسلة

اللهم قوِّ إيمانهم

[٧]

مُجنَّدةٌ من جيوش الرحمن

تأليف: د. على راشد

ريشة: أسامه أحمد نجيب

دار الفكر العربي

obeikandl.com

علتْ زغاريدُ النسوةِ، واتسمتِ الوجوهُ بالفرحةِ في أحدِ البيوتِ الريفيةِ المتواضعةِ بقريةِ «طوخ طنبشا» التابعةِ لمركزِ «بركةِ السبعِ» بمديريةِ المنوفيةِ، وذلكَ بسببِ قدومِ أولِ طفلٍ ذكرٍ للمزارعِ البسيطِ «محمودِ العزيزيِّ»، بعدَ أنْ رزقهُ اللهُ قبلهُ بثلاثِ إناثٍ.

وعندما سألهُ صديقُهُ وجارُهُ المزارعُ أبو الوفا:

- ماذا ستُسمِّي ولدكَ يا محمودُ؟

أجابَ الأبُ السعيدُ على الفورِ ودونَ تفكيرٍ:

- سوفَ أُسميهِ محمودًا.

وضحكتْ حماتُهُ مداعبةً زوجَ ابنتِها وقالتْ:

- محمود تاني!! لماذا؟

فقالَ لها ولمنْ حولها مفسرًا سببَ اختيارِهِ هذا الاسمَ:

- نعمْ .. لأنَّ أبي رحمةُ اللهِ عليهِ كانَ يُناديني منذُ أنْ كُنتُ صغيرًا ويقولُ: يا محمودُ يا أبو محمود، وعندما كُنتُ أقولُ لهُ: يا أبي قدْ لا أرزقُ بولدٍ، فيردُّ عليَّ مُبتسمًا:

إنْ شاءَ اللهُ سترزقُ بولدٍ وستسميهِ محمود، وسيكونُ لهُ شأنٌ في أمورِ الدينِ.

وضحكَ الجميعُ في استبشارٍ من هذا الحديثِ قائلينَ:

- بإذنِ اللهِ يا محمودُ يا أبو محمود..

وقالتْ زوجتُهُ ضاحكةً في دلالٍ وهي تضمُّ ابنَها المولودَ إلى صدرِها:

obeikandl.com

- وَعِندمَا أُنَادِى فِى الدَّارِ وَأَقولُ: يَا محمود، مَنْ سيردُّ عَلىَّ منكُمَا؟

ردَّ الزوجُ وَهُوَ سَعيدٌ بدلالِ زَوْجَتِه:

- إذا أردتِ أنْ تُناديني فَقُولي: يَا مُحمود، وَإذَا أردتِ أنْ تُنَاديه فَقُولي: يَا وادْ يَا محمودْ.

وَضَحِكَ الجميعُ، وَعَادَتْ زَغَارِيدُ النِّسوَةِ تَعلُو فِى الدَّارِ، وَمَا انفكَّتْ كُلُّ الوُجُوهِ مُبتسمَةً يَعلُوهَا البِشْرُ وَالسَّعادةُ.

ومرَّتِ الأيَّامُ والسِّنونَ، وأكْمَلَ الطِّفلُ مَحمودٌ عامَهُ الرَّابعَ فَألحقَهُ وَالدُهُ بِكُتَّابِ «الشَّيخِ المجرُورى» ليحفَظَ القُرآنَ الكَريمَ، وَيتعلَّمَ أُمُورَ دينِهِ منْ وُضُوءٍ وَصَلاةٍ وَبَعضِ الأَحَاديثِ النَّبويَّةِ الشَّريفَةِ، كَمَا يتعلَّمُ القراءَةَ وَالكتابَةَ وأسَاسيَّاتِ الحسَابِ، وَمَا أنْ أكملَ الصَّبيُّ عَامَهُ الثَّامنَ حَتَّى تحقَّقَتْ لَهُ كُلُّ هَذهِ الأهدَافِ التَّربويَّةِ المنشُودَةِ. وَالتَحَقَ بالمعهَدِ الأزْهَرِىِّ بمركزِ «بركةِ السَّبعِ»، فَانتَهَى منْ دراستِهِ الابتدائيَّةِ والإعداديَّةِ والثَّانويَّةِ الأزْهَريَّةِ وَهُوَ ابنُ العشْرِينَ. ونَزَحَ الفَتَى المؤمنُ العَارِفُ بأمُورِ دينِهِ - كَمَا تَنبأَ بذَلِكَ جَدُّه - إلَى العَاصِمَةِ «القَاهِرَةِ» ليستكملَ دراساتِهِ الإسْلاميَّةِ بكليَّةِ أُصُولِ الدِّينِ بجَامعَةِ الأزْهَرِ، فكانَ دَائِمًا منَ الأوَائِلِ، وَكَانَ مَحطَّ أنظَارِ أسَاتِذَتِهِ وَمُعَلِّميهِ بِمَا يُظهِرُهُ منَ اجْتِهادٍ وَاضحٍ فِى دِرَاسَاتِهِ، وَإيمانٍ قَوىٍّ فِى قَلْبِهِ، وَسُلُوكٍ قَويمٍ فِى عَلاقَاتِهِ.

وَتَخَرَّجَ الشَّيخُ مَحمود مَحمود العَزيزىُّ فِى كُليَّتِهِ بتَفَوُّقٍ، وَعُيِّنَ بوَزَارَةِ الأوقَافِ إمَامًا بأحَدِ المسَاجِدِ فِى منطقَةِ «المقَطَّمِ» المعرُوفَةِ بمَدِينَةِ القَاهِرَةِ، فَاجتَهَدَ فِى عَمَلِهِ وَأخلَصَ

obeikandl.com

فيهِ وَأحَبَّه النَّاسُ، وكَانُوا يَنتظرُونَهُ مِنَ الجمعَةِ إلَى الجُمعَةِ ليسْمَعُوا مِنْهُ خُطبَةَ صَلاةِ الجمعَةِ التِى تَتميَّزُ بالطَّلاقَةِ اللَّفظيَّةِ وَالمرُونَةِ العَقْليَّةِ وَالأصَالَةِ الإيمَانيَّةِ ليعِظَ النَّاسَ، وَيفهِّمُهُمْ أمُورَ دِينهِمْ بلغَةٍ بَسِيطَةٍ وكلِمَاتٍ صَادِقَةٍ صَادِرَةٍ مِنْ قَلبِ مُؤمِنٍ قَوىِّ الإيمَانِ.

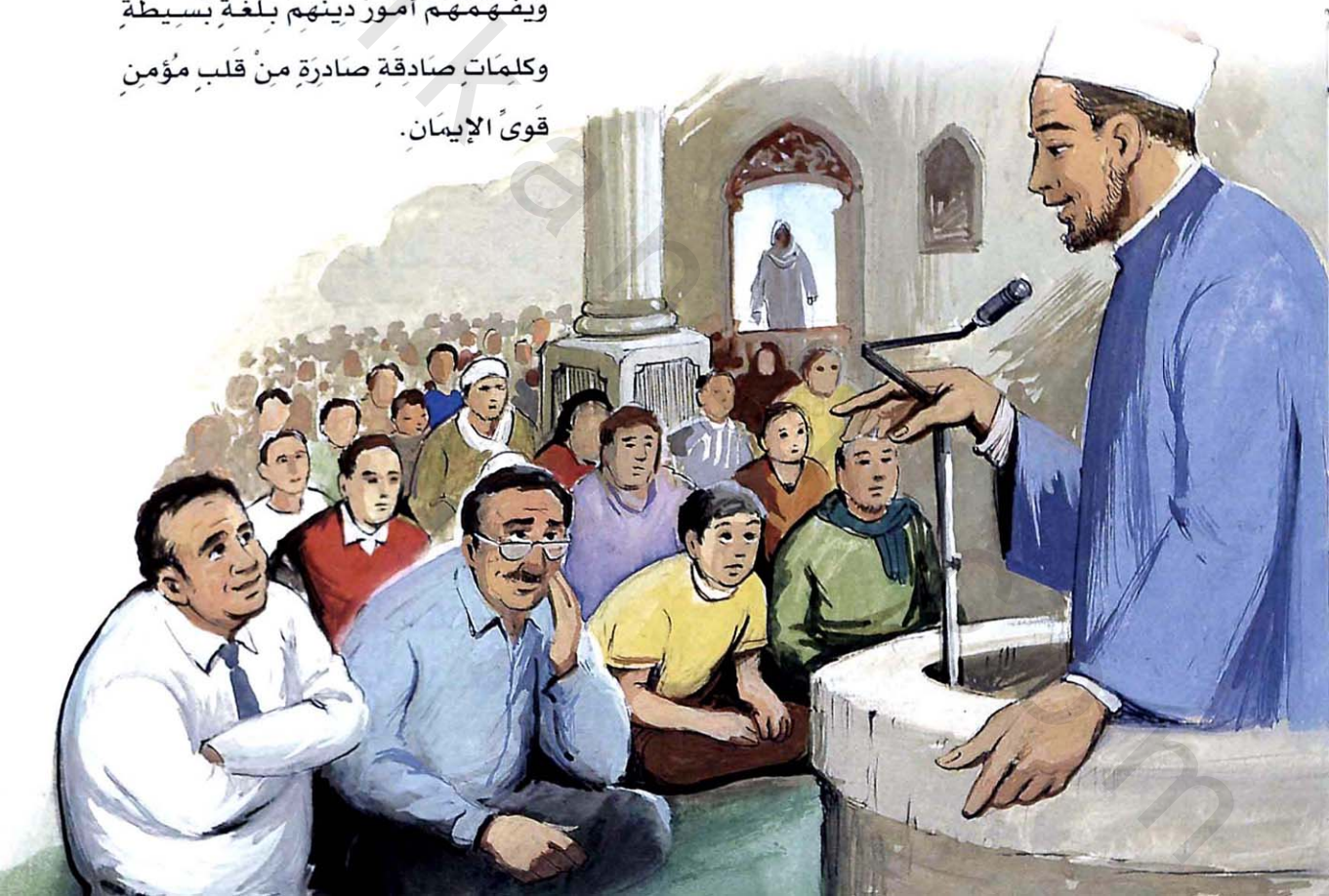

وعندما استقرت الأحوالُ المعيشيَّةُ للشَّيخ مَحمود، وبعْدَ أنْ منحتْهُ وزارةُ الأوقافِ مسْكنًا صغيرًا بجوار مسْجده فى حىّ المقطَّم: أرادَ أنْ يتزوَّج، فنصحتهُ أمُّهُ - وقدْ رحلَ أبُوهُ مُنذُ سنواتٍ قليلةٍ - بألا يدعَ فُرصةَ اقترانه بـ «أسْماء» بنت جارهم أبُو الوفا تفُوتُهُ، تلك الفتاةُ الجميلةُ المؤدَّبةُ ذاتُ الثَّمانيَّة عشرَ ربيعًا، والَّتى أنْهتْ دراستَها الثَّانويَّةَ. وبالفعْلِ وجدَ الشَّيْخُ مَحمودٌ فى هذهِ الفتاةِ كُلَّ الصِّفاتِ الَّتى وصَفَها الرَّسُولُ الكَريمُ صلَّى اللَّهُ عَليْهِ وسَلَّم فى الزَّوجةِ الصَّالحةِ، فقدْ قالَ صلَّى اللَّهُ عَليْهِ وسَلَّم فيها:

«إذا نظرْتَ إليها سرَّتْكَ، وإذا أمرْتَها أطاعَتْكَ، وإذا أقْسمْتَ عَليْها أبرَّتْكَ، وإذا غبْتَ عنْها حفِظَتْكَ فى نفْسِها وفى مالِكَ».

وتزوَّج الشَّيخُ محمودٌ منْ أسماءَ فكانتْ فاتحةَ خيرٍ وسعدٍ عليه، فأحبَّها حبًا شديدًا، وبذلَ كلَّ ما يستطيعُ لإسعادِها، فكانا كما قالتْ أعرابيةٌ لابنتِها يومَ عُرسِها: «كُونِي لهُ أمةً يكُنْ لكِ عبدًا»، وزادَ منْ حُبِّ بعضِهما لبعضٍ وتعلُّقِهما لبعضِهما البعضُ أنْ رزقَهُما اللَّهُ بالذُّريَّةِ الصَّالحةِ ذُكورًا وإناثًا: مُحمدٌ وأحمَد، ورقيَّة وزينب، فقدْ كانا دائمَى الدُّعاءِ للعَلِيِّ القديرِ بقولِهما: «اللَّهُمَّ ارزُقْنا الذُّريَّةَ الصَّالحةَ البشُوشةَ، وابعدْ عنْها همَزاتِ الشيْطانِ».

وسارتِ الحياةُ بعائلةِ الشَّيخِ محمودِ العزيزىِّ سيْرًا طيِّبًا مُباركًا، لا ينقصُها شَيْءٌ سوَى مسْكنٍ أكثرَ اتِّساعًا، وزيادةٍ فى الدَّخْلِ الشَّهْرِىِّ يَفِى بالتزاماتِ الحياةِ، حيثُ زادتْ أسْعارُ هذهِ المسْتلزماتِ بشكْلٍ مُلاحظٍ ومُلفتٍ.

وكعادتِه لجأَ الشَّيخُ محْمودٌ إلى ربِّه يسألُهُ أنْ يُوسِّعَ عليه فى مسْكنِه وفى أرْزاقِه، واستجابَ اللَّهُ تعالَى لدُعاءِ الشَّيْخِ لقوْلِه تعالَى فى كتابِه العزيزِ: ﴿ادْعُونِى أستجبْ لكُمْ﴾.

فقدْ طلَبتْ إحدَى دُولِ الخليجِ العربىِّ بعضَ أئمةِ مساجدَ منَ الَّذينَ يعملُونَ فى وزارةِ الأوقافِ بمصرَ علَى سبيلِ الإعارةِ، وبالفعْلِ تمَّ اختيارُ الشَّيخِ محمودِ العزيزىِّ ضمنَ مجموعةٍ منْ أئمةِ المساجدِ للعملِ فى المملكةِ العربيَّةِ السَّعوديَّةِ.

وسُرَّ الشَّيخُ محمودٌ أيَّما سُرورٍ بذلِكَ، وحمدَ ربَّهُ وشكرَهُ، حيثُ سيُتاحُ لهُ هوَ وزوْجتِه فُرصةُ أداءِ فريضةِ الحجِّ وأداءِ العُمرةِ وزيارةِ مسْجدِ الرَّسُولِ صلَّى اللَّهُ عليه

وسلَّم، علاوةً على ما سيتيحُ لهُ هذا العملُ منْ دخلٍ شهْرِيٍّ عالٍ يُحقِّقُ لهُ ولأسرتِهِ كلَّ ما يتمنَّى.

وسافرَ الشَّيْخُ محمودٌ وأسرتُهُ إلى مكانِ عملِهِ الجديدِ، وسعدَ بالعملِ في الأراضي الحجازيَّةِ المباركةِ، وأدَّى هوَ وزوْجتُهُ فريضةَ الحجِّ، كما أدَّى العُمرةَ لمرَّاتٍ عديدةٍ، وعندما ادَّخرَ المالَ اللازمَ اشْترَى مسْكنًا «شقَّةً» واسعًا قريبًا أيضًا من مسكنِهِ السَّابقِ قامَ بتأثيثِهِ بأثاثٍ عصْرِيٍّ مُتميِّزٍ.

ومرَّتْ سنواتُ الإعارةِ ولَمْ يبْقَ على انتهائِها سوَى شهُورٍ قليلةٍ، حقَّقَ فيها الشَّيخُ محمودٌ وأسرتُهُ ما كانُوا يتمنَّوْنَهُ منْ أسْبابِ المعيشةِ الكريمةِ، ومنَ الأعْمالِ الصَّالحةِ الَّتي تُحسبُ في ميزانِ حسناتِهِمْ يومَ القيامةِ بإذْنِ اللَّهِ تعالَى، وذلكَ تمشِّيًا معَ قوْلِ الرَّسُولِ الكريمِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم:

«اعملْ لدنْياكَ كأنَّكَ تعيشُ أبدًا واعْملْ لآخرتِكَ كأنَّكَ تموتُ غدًا».

على الجانبِ الآخرِ كانَ يعيشُ في حُجرةٍ صغيرةٍ على سطْحِ أحدِ المساكنِ الشَّعبيَّةِ في منطقةِ المقطَّمِ رجلٌ يقتربُ منَ الخمسينَ منْ عُمرِهِ، قصيرُ القامةِ، بدينٌ لهُ «كرشٌ» مميَّزٌ، أصلعُ، غزَا الشَّيبُ الشُّعيراتِ القصيرةَ الَّتي على جانبيْ رأسِهِ، يميلُ لونُ جلدِهِ إلى اللَّونِ الأسمرِ الدَّاكنِ، ويميلُ بياضُ عينيْهِ إلى اللَّونِ الأحْمرِ، عُرفَ منْذُ سنواتٍ طويلةٍ باسْمِ «الأُسطى شنْكلة» ليسَ لهُ أسرةٌ ولا معارفُ ولا أصدقاءُ، وهوَ دائمًا في وحْدةٍ،

يتظاهرُ بالعمل فى حرفة السَّباكة، وفى الحقيقة هُوَ لصٌّ منازل مُحترفٌ وخطيرٌ، بدأ حياتهُ يتيم الأب والأم، ورباهُ خالهُ الَّذي كان يعملُ بالسَّباكة، وقستْ عليه زوجةُ خاله قسوةً شديدةً، فكانتْ تُعاقبهُ بالضَّرب المبرِّح على أتفه الأسباب، وكانتْ تقصُّ على زوجها افْتراءات لمْ تحدُثْ منَ الصَّبىِّ «سُرُور» - وهذا اسمهُ الحقيقىُّ - ليعاقبهُ هُوَ الآخرُ، وكانتْ زوجةُ خاله تُناديه بـ «شُرور»، ومنْ شدَّة هذه القسْوة هرَب الصَّبىُّ منْ بيْت خاله وصادَق «أولادَ الشَّوارع» وصارَ واحداً منْهُمْ، وكانَ يلعبُ معَهُمْ بالكُرة «الشَّراب» ويكثرُ منْ عرقلة

اللاعبين فى أثناء اللعب، فعُرف باسم «شنكلة»، وتعلَّم على أيدى صغار الأشرار الجريمة والسرقة والتسوُّل، وانتهى به المطاف إلى إصلاحية الأحداث التى تعلَّم فيها مبادئ وأصول سرقة المنازل من كبار صغار الأحداث، الذين مرُّوا بخبرات عديدة فى مجال هذه الجرائم، ومن أهمّ هذه المبادئ وتلك الأصول التى تعلَّمها «شنكلة» من أقرانه:

- التخطيط الجيِّد لعملية السطو بعد الأخذ فى الاعتبار كافة المعلومات والتفاصيل.
- تحديد أفضل وقت لتنفيذ السطو حسب ظروف كلّ عملية.
- اختيار المناطق الهادئة، والمساكن التى تخلو من أصحابها.
- الاستعانة بأدوات صغيرة الحجم ومناسبة لفتح أقفال الأبواب.
- ارتداء قفاز جلد لعدم ترك أية بصمات فى مكان العملية.
- سرقة ما خفَّ وزنه وغلا ثمنه: نقود - مصوغات ذهبية وغيرها - كاميرات تصوير أو فيديو، والبعد عمَّا ثقل وزنه مهما كان ثمنه.
- أن تكون هناك فترة كمون طويلة بين عملية السطو والعملية التالية لها.
- عدم التصرُّف فى الأشياء المسروقة إلا بعد فترة زمنية مناسبة.
- بيع المسروقات لتجَّار موثوق فيهم.
- عدم الظهور بمظهر الثراء فى الأماكن العامة، والبقاء خلف مظهر الفقراء.

obeikandl.com

- عدمُ البقاءِ فى منطقةٍ واحدةٍ لسنواتٍ طويلةٍ.

وحفظَ «شنكلة» هذهِ المبادئَ وتلكَ الأُصولَ فى عالمِ السَّرقةِ، واقتنعَ بهَا واعْتَقدَ فيهَا، ومِمَّا زادَ منْ قناعتِهِ واعتقادِهِ فيهَا هُوَ نجاحُهَا المستمرُّ معهُ. وظلَّ ينتقلُ منْ منطقةٍ لأُخْرَى داخلَ مدينةِ القاهرةِ، حتَّى وَصلَ إلَى منطقةِ المقطَّمِ، واستقرَّ فى حُجْرةٍ علَى سطحِ أحدِ المساكنِ الشَّعبيَّةِ، وتظاهرَ بالعملِ فى حرفةِ السَّباكةِ.

وفى أحدِ الأيَّامِ جلسَ «شنْكلة» فى المساءِ علَى مقهًى شعْبىٍّ يشربُ الشَّاىَ ويدخِّنُ الشِّيشةَ بمفردِهِ كعادتِهِ، فاستمعَ بصورةٍ عشوائيَّةٍ إلَى اثْنيْنِ منْ روَّادِ المقْهَى وهُمَا يتحاوَرانِ:

- انتظرْتُكَ هُنَا فى المقْهَى بَعْدَ صَلاةِ الجمعةِ ولكنَّكَ لَمْ تأتِ يَا أَبو خَليلٍ.

- واللَّهِ يَا أبو علَى كانَتْ نيَّتى أنْ أَحْضُرَ إليْكَ بالفعْلِ، ولَكنْ إطالةُ الشَّيْخِ وهبةَ فى الخُطْبةِ وفى الصَّلاةِ جَعلَتْنى أذهبُ إلَى السُّوقِ فَورَ الصَّلاةِ لشراءِ بَعْضَ الحاجيَّاتِ لأَهْلِ بيْتى.

obeikandl.com

- مَعَكَ حَقٌّ يَا أَبُو خَلِيلٍ، فَلَقَدْ أَطَالَ الشَّيخُ وَهبَة بِشَكْلٍ مَلحوظٍ، وَأَنَا لا أَعْرِفُ هَلِ الإِطَالَةُ هَذِهِ فِى مَصْلَحَةِ المصلِّينَ أَمْ غَيرُ ذَلِكَ؟

وتنهَّدَ أَبُو خَلِيلٍ وَهُو يترحَّمُ عَلَى الأَيَّامِ الَّتِى كَانَ فِيهَا الشَّيخُ مَحمود العزيزِىُّ إِمَامًا للمسْجِدِ وَقَالَ:

- أَينَ أَيَّامُ الشَّيخِ مَحمودِ العَزِيزِىِّ، كَانَ إِمَامًا عَالِمًا يُفقِّهُنَا فِى دِينِنَا وَيُعَلِّمَنَا أُصُولَهُ فِى بَسَاطَةٍ دُونَ تكلُّفٍ، وَلَمْ نكنْ نَشعرُ بملَلٍ فِى خُطبتِهِ أو صَلاتِهِ.

- صَدَقْتَ يَا أَبُو خَلِيلٍ صَدَقْتَ، كَانَ الشَّيخُ مَحمود العزيزِىُّ عَالِمًا بحقٍّ، ولكِنْ مَتَى يَعُودُ إِلَيْنَا مِنْ سَفَرِهِ مِنَ السُّعُودِيَّةِ؟

- لَقَدْ قَابلتُهُ فِى الإِجَازَةِ الصَّيفيَّةِ وَعرفْتُ منْهُ أَنَّ هَذَا العَامَ هُوَ آخِرُ عَامٍ لَهُ فِى الإِعَارَةِ فِى السُّعُودِيَّةِ، وَكُلُّها عِدَّةُ شُهُورٍ ويَعُودُ إِلَينَا مَرَّةً أُخْرَى.

- هَذَا خَبَرٌ مُفْرِحٌ يَا أبو خَلِيلٍ.

- هَذَا هُوَ العَامُ الخَامِسُ والأَخِيرُ لَهُ فِى السُّعُودِيَّةِ.

- باسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ حَقَّقَ مَا تمنَّاهُ مِنْ هَذِهِ الإِعَارَةِ.

- نَعَمْ نَعَمْ يَا أَبُو عَلِى فَلقدِ اشْتَرَى شَقَّةً جَدِيدَةً وَوَضَعَ فِيهَا مِنْ خَيرَاتِ اللَّهِ الكَثِيرَ.

- وَأَينَ هَذِهِ الشَّقَّةُ؟

وهنَا استْرقَ شَنكَلة السَّمعَ بتركيزٍ شَديدٍ دُونَ أَنْ يَشعُرَ بهِ كُلٌّ مِنْ أَبُو خَلِيلٍ وَأبو عَلِيٍّ.

- (شَارِحًا) هَلْ تَعرِفُ المبنَى الجَدِيدَ الفَاخِرَ الَّذِى يَقَعُ آخِرَ شَارِعِ المسجِدِ عَلَى اليمينِ؟

- نَعَمْ أَعْرِفُهُ.

- شَقَّة الشَّيخ مَحمود العَزِيزِىِّ هِىَ فِى الدُّورِ الثَّالِثِ عَلَى يَمينِ السُّلَّمِ.

- رَبنَا يزيدُهْ مِنْ نِعَمِهِ، هُوَ رَجُلٌ يَستحِقُّ كُلَّ خَيْرٍ.

وَهُنا تَحَدَّثَ شَنكلة إِلَى نَفْسِهِ سِرا وَبِسعَادَة:

- رزقكَ فى رجليكَ يا شنكلة، شُقَّة فى مَبْنَى فَاخِر، أهلُها فى سَفَرٍ بَعِيد، وَهى مَلآنَةٌ بالخيْرات، لَقَدْ جَاءَتْ إليكَ العَمَليَّةُ التَّاليةُ مِنْ نَفْسِهَا دُونَ مَشَقَّةٍ أو مُعاناة، هَذِهِ ستَكُونُ فُرصَةَ العُمر.

وبالفعْل بدأَ شَنكله يُخطِّطُ لعمليَّةِ السَّطو القَادِمَة، وَهِىَ سَرِقَةُ شَقَّةِ محمود العزيزى، وَعَلَى مَدَى ثَلاثَةِ أسَابيعَ كَامِلَةٍ ظَلَّ يجمَعُ المعلومَاتِ اللازمَة، وَيَزُورُ مَسرحَ العمليَّةِ القَادِمَةِ عَنْ بُعدٍ أحيَانًا - فى المنطقَةِ وَمَا حَولَ العمَارَة - وَعَنْ قُربٍ أحيَانًا أُخْرَى - بالصُّعودِ عَلَى سُلَّم العمَارَةِ ومُشَاهَدَةِ بَابِ الشَّقَّة -.

وجمعَ اللِّصُّ كُلَّ المعْلومَاتِ الَّتى ظَنَّ أنَّهَا اللازمَةُ لتنْفيذِ خطتِهِ وَوَجَدَ جَميعَهَا صَالِحَةً مائَةً بالمائَة، بَلْ إنَّها مُتكاملَةٌ، وَأنَّهُ لَمْ يجدْ فى السَّابقِ عَمليَّةَ سَطْوٍ تَوافَرَ لَهَا هَذَا الكَمُّ مِنَ المواصفَاتِ الَّتى وَضَعَهَا أمَامَهُ ورَتَّبَهَا كَمَا يَلِى:

- المنطقَةُ الَّتى تَقَعُ بِهَا العمَارَةُ هَادِئَةٌ، ومَكَانٌ مِثَالِىٌّ لتنفيذِ عَمليةِ السَّطْو.

- العمَارَةُ لَيسَ لَهَا بَابٌ خَارِجِىٌّ.

- بَوَّابُ العمَارَةِ حَديثٌ فى حِرَاسَةِ المبَانى، وَهُوَ مُتزوِّجٌ حَديثًا، وقبْلَ مُنتصَفِ اللَّيلِ يكونُ قَدْ دَخَلَ غُرفتَهُ الَّتى تَقَعُ أسفَلَ سُلَّم العمَارَةِ وَيغلقُها عَلَيهِ ومعَهُ عَروستُهُ.

- مُعظَمُ سُكَّانِ العمَارَةِ مِنَ الَّذِينَ يَعملُونَ بالخَارِجِ، وَلا يُوجَدُ سِوَى أربعٍ أو خمسِ شُقَقٍ يَسكُنُهَا بالفعْلِ أصحَابُهَا.

- القفلُ الذى يضعُهُ الشيخُ محمودٌ على بابِ شقَّتِهِ قفلٌ تقليدىٌّ منَ السهلِ فتحُهُ بـ «طفَّاشة».

وبناءً على كلِّ تلكَ المعلوماتِ وضعَ شنكلة خطَّتَهُ التى تنبأ بنجاحِها تمامًا، وحدَّدَ يومَ الخميسِ التالى لتنفيذِها، وجهَّزَ كلَّ عدَّتِهِ، وراجعَ كلَّ خطواتِهِ، فرآها فى ذهنِهِ على أتمِّ وجهٍ فابتسمَ وقالَ لنفسِهِ ضاحكًا:

- شكرًا يا شيخَ محمودٍ، فسوفَ تكونُ بعضُ مدَّخراتِكَ منْ سنواتِ الإعارةِ منْ نصيبى..

وأطلقَ ضحكةً عاليةً منْ فرحتِهِ وسرورِهِ على ما سوفَ يحصلُ عليهِ منْ غنائمَ فى تلكَ العمليَّةِ.

وجاءتِ اللحظةُ الحاسمةُ لبدءِ تنفيذِ الخطَّةِ، وبالفعلِ تحرَّكَ شنكلة فى تمامِ السَّاعةِ الثانيةِ بعدَ منتصفِ ليلِ الخميسِ، وسارَ فى الطُّرقِ التى يُخيِّمُ عليْها الظلامُ فى اتجاهِ هدفِهِ، وهوَ لا يحملُ معهُ سوى كيسِ قماشٍ مطويٍّ وموضوعٍ فى جيبِ سروالِهِ،

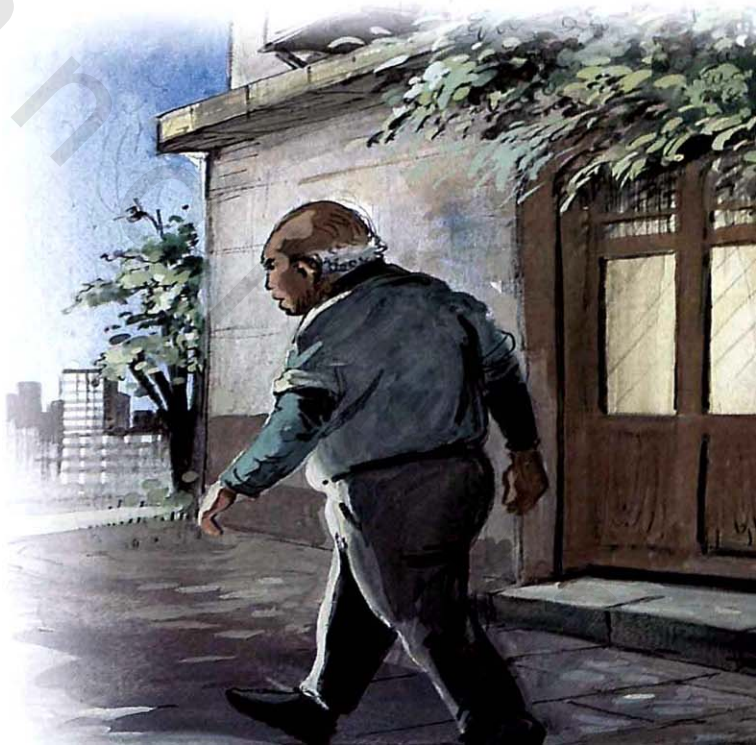

ومطواةٍ متعددةِ الزَّوائدِ المعدنيَّةِ الحادَّةِ «طفَّاشة» الَّتى تُستَخدَمُ فى فتحِ أقفالِ الأبوابِ؛ وكشَّافِ إضاءةٍ صغيرٍ يضعُهُ فى فمِهِ فى أثْناءِ تَنفيذِ عمليَّةِ السَّطْوِ ليمدَّهُ بالضَّوءِ اللازمِ.

ووصَلَ اللصُّ المحترفُ إلَى مَسرحِ عَمليَّتِهِ فوَجَدَ كُلَّ شَىْءٍ عَلَى مَا يُرامُ كَمَا توقَّعَ:

- الهُدوءُ يَلفُّ المكانَ.

- بوَّابُ العمارةِ دَخَلَ إلَى غرفَتِهِ الصَّغيرةِ أسفلَ السُّلَّمِ وأغلَقَها ليختَلِىَ بعرُوستِهِ.

- الإضَاءةُ خَافِتَةٌ وتُنَاسِبُ عمليَّةَ السَّطْوِ.

وبسُرْعَةٍ دَخَلَ شَنكلة العمَارَةَ وصَعِدَ فى خِفَّةٍ إلَى الدَّورِ الثَّالثِ وَاتَّجَهَ يَمِينًا حَيثُ شَقَّةُ الشَّيخِ محمود العَزيزى، وَأخرجَ مِنْ جَيبِهِ كَشَّافَ الإضَاءَةِ الصَّغيرِ وَحرَّكَ مِفتَاحَهُ ليعطيَهُ الضَّوءَ المناسِبَ، وَوضعَهُ فى فَمِهِ حَتَّى يَستَفيدَ مِنْ يَدَيْهِ الاثنَتَيْنِ، ثُمَّ أخْرَجَ المطواةَ

ذاتَ الزَّوائدِ المعدنيَّةِ الحادَّةِ، وَشَرَعَ فِى اختيارِ السِّنِّ الحادِّ منْهَا الَّذِى يُناسِبُ فَتحَ القُفلِ التَّقليدىِّ الَّذِى وَضَعَهُ الشَّيخُ مَحمودٌ عَلَى بَابِ شقَّتِهِ.

وَفِى تِلكَ اللَّحظَةِ الحاسِمَةِ صَدَرَ الأَمْرُ الإلهِىُّ لمجنَّدَةٍ صَغيرَةٍ منْ جُيُوشِ الرَّحمنِ بإنهَاءِ خُطَّةِ اللِّصِّ شَنْكلة بفَشَلٍ ذَرِيعٍ، وَافتضَاحِ أَمْرِهِ، وَالقَضَاءِ عَلَى شرِّهِ.

لَقَدْ تعهَّدتِ العِنَايَةُ الإلهِيَّةُ بحرَاسَةِ هَذَا المسْكَنِ منْ قِبلِ مَلائكَةِ الرَّحمنِ الَّذِينَ وُكِّلَتْ إليهِمْ حِمَايَتُهُ منْ كُلِّ شرٍّ، وَجَاءَتْ هَذِهِ الحرَاسَةُ الرَّبانيةُ نتيجةَ دُعَاءِ الشَّيخِ مَحمود المؤمنِ بربِّه، وبأنَّ العَلىَّ القَدِيرَ «يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا». فَقَدْ تعوَّدَ الشَّيخُ قَبلَ مُغادَرَةِ مَسكنِهِ وسَفَرِهِ أَنْ يَقْرأَ آيَةَ الكُرسِىِّ:

«أعوذُ باللَّهِ منَ الشيطانِ الرَّجِيمِ، بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ..

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾ (البقرة).

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيم» ثُمَّ يَتلُو بَعدَ هَذِهِ الآيَةِ الدُّعَاءَ التَّالِيَ: «اللَّهُمَّ بعظَمَةِ آيَةِ الكُرسِيِّ وبَركَةِ كلماتِهَا احفَظْ مَسكَنِي هَذَا مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ يا كَرِيمُ، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ يَا عَلِيمُ، فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

فَأَوحَتْ مَلائِكَةُ الرَّحمنِ إِلَى مُجنَّدَةٍ صَغِيرَةٍ بِهَذَا الحِفْظِ، وَمَا كَانَتْ هَذِهِ المجنَّدَةُ سِوَى بَعُوضَةٍ (نَامُوسَةٍ) صَغِيرَةٍ. فَالبَعُوضَةُ هِيَ مِنْ أَصْغَرِ الكَائِنَاتِ الَّتِي يتعرَّفُ عَلَيْهَا الإِنْسَانُ بِالنَّظْرَةِ العَادِيَّةِ، وَهِيَ حَشَرَةٌ فِي مَظْهَرِهَا ضَعِيفَةٌ، وَلَكِنَّهَا فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ تَستَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِمَا لا تَقْوَى عَلَيهِ جُيُوشٌ جَرَّارَةٌ، وَلَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ بِهَا المَثَلَ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا . . . (٢٦)﴾ (البقرة).

فَهَذِهِ الحَشَرَةُ الصَّغِيرَةُ الضَّعِيفَةُ كَانَتْ سَبَبًا فِي مَوْتِ المَلايِينِ مِنَ البَشَرِ بِمَرَضِ «المَلاريا» الَّذِي تَنقُلُهُ أُنثَى هَذِهِ الحَشَرَةِ، وَأَيْضًا أَنَّهَا تَسَبَّبَتْ فِي إِصَابَةِ مِئَاتِ المَلايِينِ مِنهُمْ بِمَرَضِ «الفَلارْيَا»، وتَنقُلُ بَعضُ أَنوَاعِهَا أَكثَرَ مِنْ ١٥٠ نَوْعًا مِنَ الحُمَّى الَّتِي تَفْتِكُ بِمَلايِينَ مِنَ البَشَرِ.

obeikandl.com

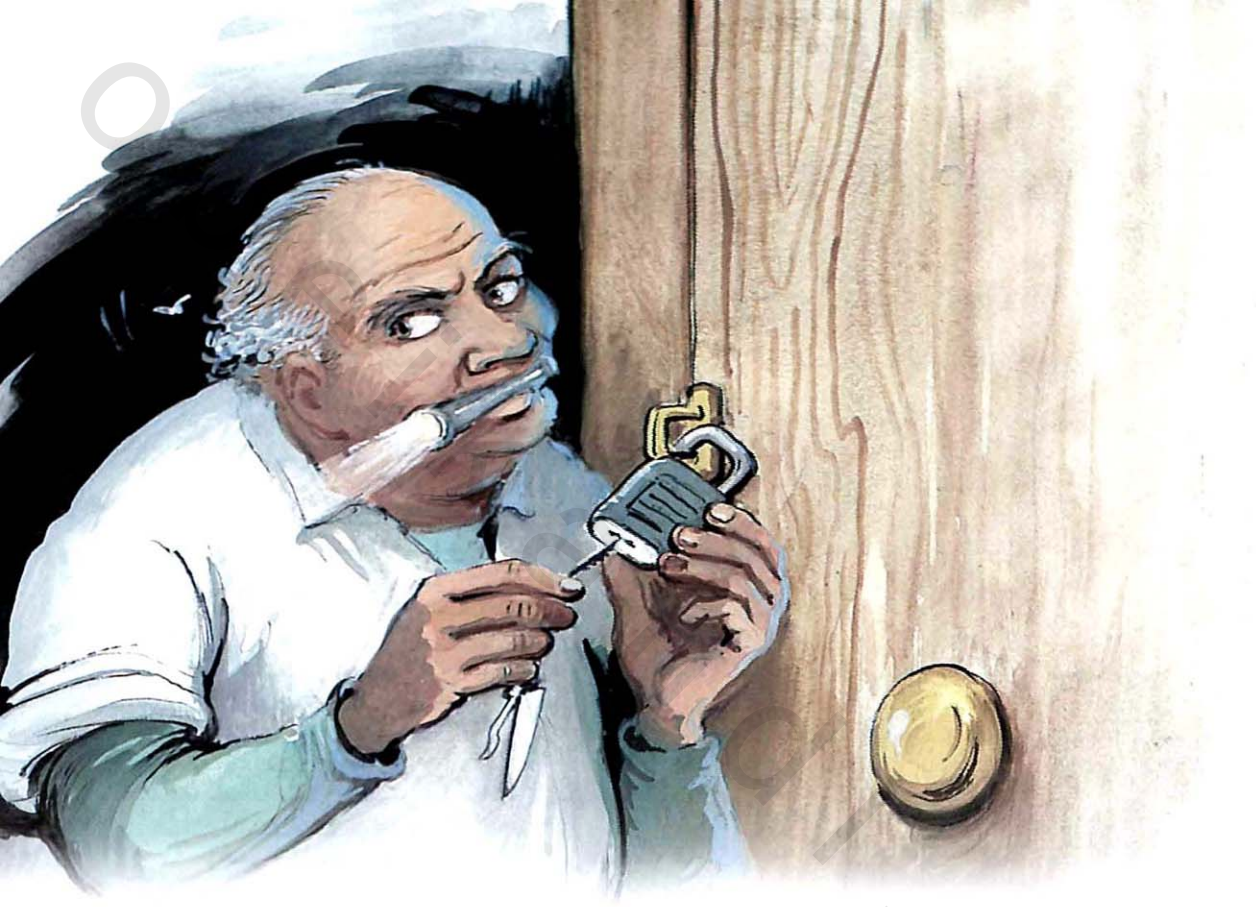

فعندمَا صَدَرَتِ الأَوامِرُ لِتلكَ الحشَرَةِ الصَّغِيرَةِ؛ نَفَّذَتِ الأمرَ فورًا وَاقْتربَتْ منْ شَنكلة وهُو يُحاوِلُ بِواسِطَةِ «طَفَّاشَتِهِ» فَتحَ قُفلِ البَابِ، وَاقتربَتْ منْ أُذُنِ اللِّصِّ وَسَمعَ أَزيزَهَا المزْعجَ حَتَّى أَبعدَهَا بِحَركَةٍ لا إِرَادِيَّةٍ مِنْ يَدِهِ الَّتِى تَحْمِلُ المطواةَ، فَابتعدَتْ عَنْهُ، وَإِذَا

بالبَعُوضَةِ تَقتربُ مَرَّةً أُخرَى مِنْ أُذُنِهِ لتَبثَّ فيهَا أزيزَهَا العَالِيَ. وَاغتَاظَ شَنكلة وحَرَّكَ يَدَهُ مرَّة أُخْرَى لإبعَادِهَا.

وكَادَ اللِّصُّ أَنْ يَنتهِيَ مِنْ مُهمَّتِهِ الأَسَاسِيَّةِ فِي عَمَلِيَّةِ السَّطْوِ، ألا وَهِيَ فَتحُ قُفلِ البَابِ وَهُنَا حَطَّتِ البَعُوضَةُ عَلَى وَجْهِهِ بِجوارِ عَيْنِهِ اليُمنَى ولسَعَتْهُ لَسعَةً شَدِيدَةً أَوْجَعَتْهُ وَزَادَتْ مِنْ غَضَبِهِ، فَحَرَّكَ يَدَهُ الَّتِي تحملُ المطوَاةَ حَرَكَةً سَرِيعَةً لا إراديَّةً ليقْضِيَ عَلَى هَذِهِ البَعُوضَةِ الشَّرِسَةِ، فَإِذَا بِمشرَطِ المطْوَاةِ الحَادِّ يُصِيبُ عَينَهُ اليُمنَى بِجُرْحٍ غَائِرٍ نَتَجَ عَنْهُ اندفَاعُ الدِّمَاءِ مِنْهَا بِشِدَّةٍ، وَطَارَتِ البَعُوضَةُ فِي هُدُوءٍ لتَعودَ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أَتَتْ مِنهُ بَعْدَ أَنْ أَنهَتْ مُهمَّتَهَا الَّتِي كُلِّفَتْ بِهَا بِنَجَاحٍ مُنقَطِعِ النَّظِيرِ.

أمَّا شَنكلة فبعْدَ أَنْ أَحَسَّ بِالأَلَمِ الرَّهِيبِ فِي عَينِهِ، والدِّمَاءُ تندَفِعُ مِنْهَا بِشِدَّةٍ أَخْرَجَ كِيسَ القُمَاشِ الَّذِي كَانَ مِنَ المفرُوضِ أَنْ يملأَهُ بِالمسرُوقَاتِ الثَّمِينَةِ، وَوَضَعَهُ عَلَى عَينِهِ المصَابَةِ، فَامتلأَ الكيسُ بِدمائِهِ لا بِالمسْرُوقَاتِ.

وَصَرَخَ اللِّصُّ مُستَنْجِداً بِأَعْلَى صَوتِهِ قَائِلاً:

- الحقُونِي .. أَغِيثُونِي .. أَدرِكُونِي .. يَا نَاسُ يَا سَاكِنِي هَذِهِ العِمَارَةِ الْحَقُونِي .. أَدرِكُونِي.

وهُرِعَ السُّكَانُ الَّذِينَ يَقطنُونَ بَعضَ شُقَقِ العِمَارَةِ بِمَلابِسِ نَومِهِمْ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوتِ، وَأَسرَعَ كَذَلِكَ بَوَّابُ العِمَارَةِ بِملابِسِهِ الدَّاخِلِيَّةِ نَاحِيَةَ مَصْدَرِ الاستِغَاثَةِ، وَتَمَّتْ إِضَاءَةُ أَنوَارِ

السُّلَّمِ لِمَعْرِفَةِ سَبَبِ هَذَا الصُّرَاخِ، وَعِنْدَمَا التَّفُّوا حَوْلَ شَنْكَلَة لِيَسْأَلُوه:

- مَنْ أَنْتَ؟

- وَمَا سَبَبُ هَذَا الصُّـــــراخُ وتِلْكَ الاستِغَاثَةِ؟

- ومَـــــا الَّذِي أَوجَدَهُ هَذِهِ السَّاعَةَ فِي هَذَا المَكَانِ؟

فَأَجَابَهُمُ اللِّصُّ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ وَالأَلَمُ يَعْتَـــصِـــرُهُ والدِّمَـــــاءُ تُغَطِّي وَجْهَهُ:

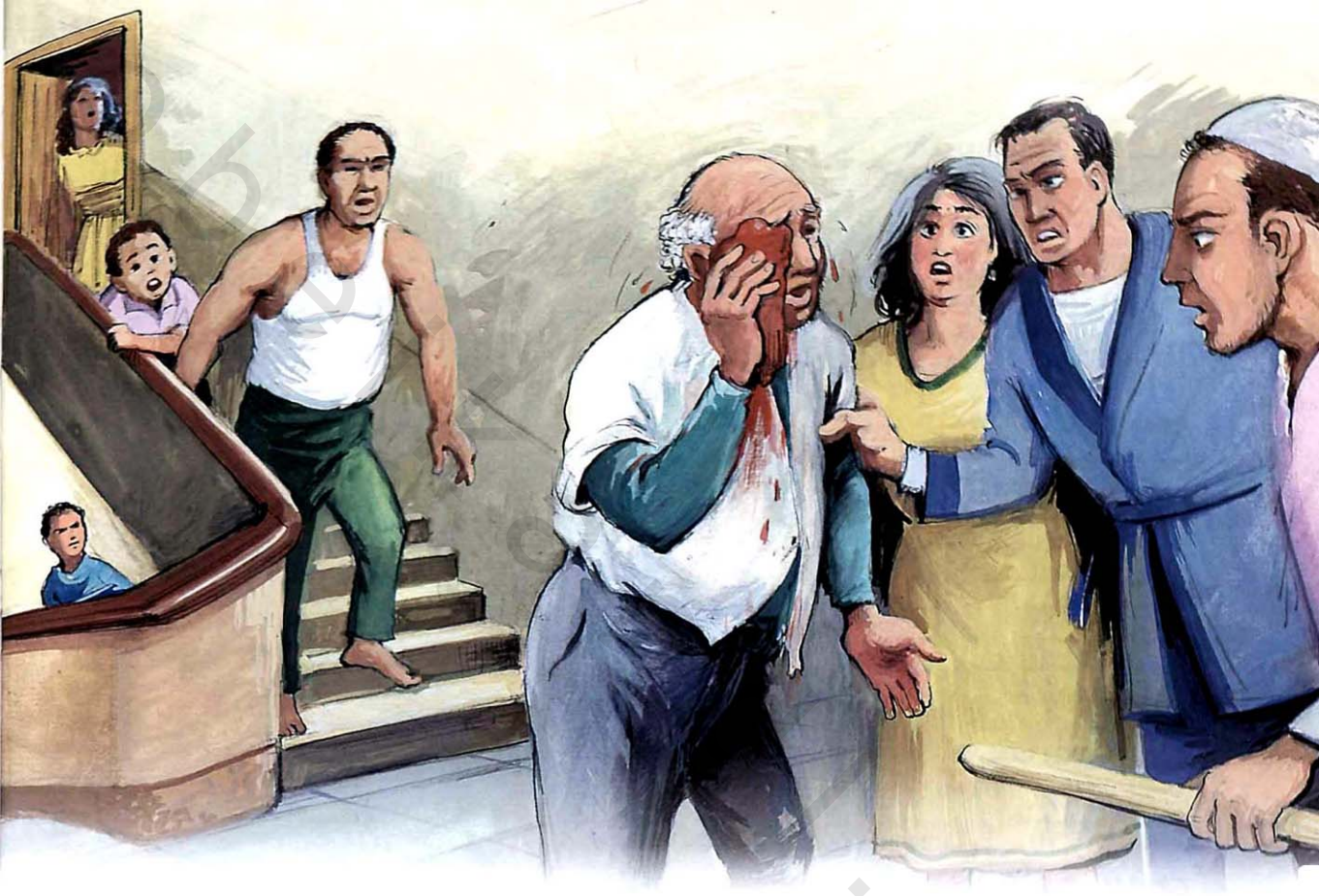

- أَنَا شَنكَلة السَّبَّاك، وَقَدْ حَضَرْتُ إِلَى هُنَا لِسَرِقَةِ شَقَّةِ الشَّيْخ مَحمود، وجَاءَتْ «نَاموسَةٌ» لَعِينَةٌ ظَلَّتْ تَدُورُ حَوْلِى وَأَنَا أُبْعِدُهَا بِيَدِى حَتَّى لَسَعَتْنِى عَلَى وَجْهِى، فَأَرَدْتُ أَنْ

أقْضى عليها، فإذا بالمطواة تشرْطُ عَيْنى.. أنا مُجْرِمٌ.. أنا لصٌّ .. اضْربُونى، عاقبُونى، اسْجنُونى، ولكنْ قبْلَ أىّ شىْءٍ خُذُونى لأقْربَ مُستشْفى وبعدها افْعلُوا بى ما تشاءُونَ.

ورغْمَ أنَّ وضعَ شنكلة كانَ حرجًا، وكانَ يصْرُخُ منَ الألَم، إلا أنَّهُ أخذَ نصيبَهُ منَ الضَّربِ والرَّكلِ على أجْزاءِ جسمِهِ المخْتلفةِ منَ الجَميعِ، منْ سُكَّانِ العمارةِ بصفةٍ عامَّةٍ، ومنْ بوَّابِ العمارةِ بصفةٍ خاصَّةٍ.

وتمَّ اسْتدعاءُ الشُّرْطةِ والإسعافِ معًا، وفقدَ شنكلة عينهُ اليُمنى كما فقدَ حُريَّتَهُ، حيثُ اعْترفَ بجريمتِهِ الَّتى لَمْ تكتملْ، وكذلكَ اعْترفَ بكُلِّ جرائمِهِ السَّابقةِ، وتمَّتْ مُحاكمتُهُ، وحُكمَ عليهِ بعشْرِ سنواتِ سجنٍ معَ الأشْغالِ الشَّاقَّةِ.

وعادَ الشَّيخُ محمودُ العزيزىُّ منْ إعارتِهِ، واستلَمَ عملَهُ السَّابقَ إمامًا لمسجدِ الحىِّ، وعلِمَ بما حدثَ منْ مُحاولةِ سرقةِ شقَّتِهِ، فكانَ يُردِّدُ دائمًا:

«الحمدُ للَّهِ .. فاللَّهُ خيرٌ حافظًا وهُوَ أرحمُ الرَّاحمينَ».

وسعدَ النَّاسُ بعوْدةِ شيخِهِمْ محمود العزيزىِّ، ليستمعُوا منْهُ إلى «خُطبِ الجُمُعةِ» الَّتى تتميَّزُ بالطَّلاقةِ اللَّفظيَّةِ، والمرُونةِ العقْليَّةِ، والأصالةِ الإيمانيَّةِ، فيتَّعظُوا بما يسمعُونَ، ويَفهمُوا أمُورَ دينهِمْ بلُغةٍ بسيطةٍ وكلماتٍ صادقةٍ صادرةٍ منْ قلْبِ مُؤمنٍ قوىِّ الإيمانِ.

وفى ليْلةٍ مُظلمةٍ، وداخلَ زنزانةٍ - منْ زنزاناتِ السِّجنِ المُوحشةِ - ذاتِ فتحةٍ علويَّةٍ ضيِّقةٍ رأى منْها شنكلة بعضَ نُجومِ السَّماءِ بعينِهِ اليُسْرى الوحيدةِ، وبعْدَ مُراجعةِ طريقِ

حياته الشائك المليء بالأعمال الإجرامية غير الصالحة، وبعد تأمله في تلك البعوضة التي تسببت في ضياع عينه وافتضاح أمره، ودخوله السجن، استيقظ ضمير «سرور» لأول مرة وقرر التوبة النصوح.

وفي اليوم التالي قدم طلبا لمأمور السجن يفيد رغبته في استدعاء الشيخ محمود العزيزي يستسمحه ويتوب على يديه، وردد مرات ومرات تلك الآيات القرآنية التي سمعها من واعظ السجن، وبذل جهدا كبيرا في حفظها:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ (الزمر)

صدق الله العظيم.

اللهم قوِّ إيماني

obeikandl.com